مُقَدِّمَة

في العبـور الحضاري للمكتبة العربية الإسلامية كُنت قد أخذتُ نفسي بتـوطئـة ما قَبْلَ النَصِّ من رُواةٍ وأخباريين وَمُعَلِّقينَ، وذلك كيما يتكاملَ نَسيجُ التأليف في المكتبة العربية الإسلامية ويتتامَّ، فَيصلُ الطالبَ والدَّارسَ والقارىء بالمـاضي العريق، ويفتَحُ عليهِ منافِذَ من المُعَاصَرَةِ والحَاضِرِ. وإنَّ في ذلك لإذكاءً لمواهب الطَّلبة للتحرك تلقاء هذا التُراث الوارفةِ ظِلالُه، الحافلةِ نُصُوصُه وَمُوحياتُهُ. فقد كُنَّا نقرأُ الرُّواةَ ـ في كثير من المراجع الحديثة ـ من غَيرِ إلمامٍ بهم، ولا مَعْرِفَةٍ بسَلاسِلِ الأخبار، فنقفُ عن المَناخ العام لِتَنَقُّل الخَبرِ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، وَمن مُؤلِّفٍ إلى مُؤلِّف ـ في مَنْقَطَعِ التراب. وفي خاتمَةِ المطاف نكونُ في موقف العَازِفِ عن المتابعة في هذه النُّصُوصِ التي هي الزَّاد الثقافي لهذه الأُمَّـةِ التي يُرْجَى أن تبـدأ منها الوثَباتُ الكُبَرُ للهيمنة على بقاع الدُّنيا هيمنة التوحيد والعَدْلِ والرَّحمة المُهداة.

وَكُنْتُ فيما وَقَعَتْ عليه عَينايَ من شخصياتٍ ومؤلفينَ وَأعلامٍ ذوي مكانة مرموقةٍ في الإسلام أَتَخَيَّرُ ما هو أقرَبُ إلى المكتبة العربية الإسلامية، وما هو أَمَتُّ صلة بالعلم والتعلم، وأخلاق أهل العلم في الإسلام. إنَّ ذَلِكَ في رأيي المتواضع لَمَا يَجْعَلُ النُّصُوصَ في عيون ناشئتنا أكثر بَهْراً، وأحلى رَونقاً، وأجملَ للمعاودة مَرَّةً بعد مَرَّة، وفي كُلِّ مَرَّةٍ من زوايا مختلفة، ومن قرائن متعددة. وَلَكَمْ كُنْتُ أَحْمِلُ في ذهني رأياً أو موقفاً فقهياً قد وَقَرَ في نفسي من خلال نَصٍّ أو قرينةٍ أو عِظَةٍ أو مَجْلِسِ عِلْمٍ ثُمَّ أراه من زوايا أوسعَ، ووضوحٍ أشملَ وأكْمَلَ من خِلال سِيَرِ الشخصيات الإسلامية، ومَواقِعِ ٱلتقائهم، وَٱختلاف آجتهاداتهم. ما كَانَ أَحلى بَرْدَ ذلك على الكَبِدِ حين كان اللقاءُ معه، والفوزُ به.

وَكُنْتُ في بَحثي - مِن أَوَّلـه إلى آخـره - وَاضِحَ الموقف، رَاسِخَ اليقين، إسلامياً كما كانَ الصَّحابةُ رضوان الله عليهم، وَاعِياً على النُّصُوص، متواضعاً أعترف بجهلي في المسائل التي لا يَطَالُها فهمي أو التي حِيلَ بيني وبين العُبور إليها سواءٌ أكان ذلك من جهة التربية، أو العصر، أو نفاد الزاد الثقافي، أو آختراع المخـطوطـات وضياعهـا، أو قصور المكتبات في التزوُّد بكل ما أُنْتِجَ وَيُنْتَجُ. وَعُذري في ذلك أن أستكمل ما غابَ، وأن أَجْبُرَ ما آنكسر، وأن أَعُودَ عن الرأي الفَطير إلى الرأي الخَمير، وأن أَنْتَقِلَ مِنْ موقع الرؤية إلى موقع تكون فيه الرؤيةُ أوضحَ وأعمقَ، والتثبُّتُ أرسخَ أُصُولاً وَأَبْسَقَ.

وجعلتُ كتـابي في بابين، تحـدَّثتُ في البَاب الأوَّل عن عالمية الرسالة الإسلامية، والحُجَّةِ بالقرآن الكريم، وأُمِّيَّةِ القراءة والكتابة، وحالةِ الكتابة في مكة المكرمة قبيل الرسالة الإسلامية وَكُتَّاب رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وجمـع القرآن الكريم. وتحدَّثتُ في الباب الثاني عن مُدارسَةِ القُرآن الكريم والقيام بحق خدمته، وتقريبه إلى الناس.